Conference Proceedings: Enhancing the Role of Islamic, Social, and Human Studies in Building Society, Volume 23, July 2026.

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

منهج علماء الكلام في مواجهة الشبهات العقدية المعاصرة

م.د سارة جبير أحمد

ديوان الوقف السني/ دائرة صندوق الزكاة والصدقات

The Approach of Muslim Theologians in Addressing Contemporary Theological and Doctrinal Challenges

Assistant Lecturer Sarah Jubair Ahmad

Sunni Endowment Diwan / Zakat and Charity Fund Directorate

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع منهج علماء الكلام في مواجهة الشبهات العقدية المعاصرة، بوصفه أحد الموضوعات الحيوية التي تبرز أهميتها في ظل تصاعد التحديات الفكرية، وتعدد مصادر التشكيك العقدي في العصر الرقمي، ويهدف البحث إلى بيان الأسس المنهجية التي اعتمدها علماء الكلام في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، والكشف عن أدواتهم في تفكيك الشبهات، سواء العقلية أو النقلية، مع إبراز قابلية هذا المنهج للتوظيف في مواجهة الشبهات المعاصرة التي تتخذ طابعًا فلسفيًا وإعلاميًا ورقميًا معقدًا. ويعتمد البحث المنهج التحليلي الاستقرائي من خلال تتبع تطور منهج المتكلمين في الاستدلال والرد، واستقراء نماذج من مناقشاتهم للشبهات عبر مختلف المراحل التاريخية، وصولًا إلى إمكانات تفعيل هذا المنهج في الواقع المعاصر. (الكلمات المفتاحية: علم الكلام، الشبهات العقدية، المنهج العقلي، الدفاع عن العقيدة).

Abstract:

This study addresses the topic of the methodology of Islamic theologians (ʿulamāʾ al-kalām) in confronting contemporary doctrinal doubts, highlighting its significance amid the increasing intellectual challenges and the proliferation of skeptical discourses in the digital age. The research aims to clarify the methodological foundations employed by Muslim theologians in defending Islamic creed, and to uncover their intellectual tools in deconstructing both rational and textual doubts, while demonstrating the applicability of this methodology to modern ideological, philosophical, and digital forms of skepticism. (Keywords: Islamic theology, doctrinal doubts, rational methodology)

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي هدانا بنورِ الوحي، وبيَّن لنا سُبلَ الحقِّ واليقين، وجعلَ العقلَ آلةً للفهم والنظر، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ، المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين.أما بعد:فإنَّ القضايا العقدية تمثّلُ أصلَ البناء الفكري في الإسلام، إذ تُعدُّ العقيدةُ الأساسَ الذي يقوم عليه التصورُ الكليُّ للإنسان والكون والحياة. ومع تطور الحياة الفكرية وتعدد مصادر المعرفة، برزت في العصر الحديث أنماطٌ جديدة من الشبهات العقدية، اتخذت طابعًا أكثر تعقيدًا وانتشارًا، خاصةً في ظل التحولات الرقمية ووسائل التواصل الحديثة، مما جعل الحاجة إلى دراسة المناهج العلمية في مواجهتها ضرورةً ملحّةً لا خيارًا بحثيًا فحسب وقد كان لعلماءِ الكلام دورٌ بارزٌ في التاريخ الإسلامي في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، عبر تأسيس منهجٍ عقليٍّ استدلاليٍّ يقوم على الجمع بين النقل والعقل، ومواجهة الخصوم الفكريين بالحجة والبرهان، ومن هنا تبرز أهمية إعادة قراءة هذا المنهج وتفعيله في ضوء التحديات المعاصرة، بما يحقق التوازن بين الأصالة والتجديد.

أولًا: أهمية الموضوع

تنبع أهمية هذا الموضوع من جملة اعتبارات علمية وفكرية ومنهجية، من أبرزها:

١. إبراز دور علم الكلام في تأسيس منهج عقلي منظم للدفاع عن العقيدة الإسلامية.

٢. بيان طبيعة الشبهات العقدية المعاصرة وخصوصيتها في ظل البيئة الرقمية المفتوحة.

٣. الكشف عن قدرة المنهج الكلامي على التكيف مع التحديات الفكرية الحديثة.

٤. تعزيز الوعي بأهمية الجمع بين الأدوات العقلية والنقلية في مواجهة الشبهات.

٥. الإسهام في إعادة توظيف التراث العقدي الإسلامي في معالجة قضايا العصر الفكري.

ثانيًا: أسباب اختيار العنوان

جاءَ اختيار هذا الموضوع بناءً على مجموعة من الدوافع العلمية والموضوعية، من أهمها:

١. تصاعد موجة الشبهات العقدية في الفضاء الرقمي وتعدد مصادرها وأساليبها.

٢. الحاجة إلى دراسة منهجية علمية تُعيد قراءة علم الكلام في سياق معاصر.

٣. ندرة الدراسات التي تجمع بين التأصيل الكلامي والتطبيقات الرقمية الحديثة.

٤. أهمية إبراز الطابع العقلي في التراث الإسلامي في مواجهة الخطابات الإلحادية الحديثة.

٥. الرغبة في تقديم رؤية علمية تساعد في تحصين الوعي العقدي لدى المتلقي المعاصر.

ثالثًا: فرضية البحث

ينطلق هذا البحث من فرضية مفادها إنَّ منهج علماء الكلام في الجمع بين العقل والنقل يمتلك قابلية علمية وموضوعية لمواجهة الشبهات العقدية المعاصرة ،وإنَّ تفعيل هذا المنهج في سياق التحولات الرقمية يمكن أنْ يسهم في بناء خطاب عقدي متوازن قادر على الرد على الإشكالات الفكرية الحديثة بأساليب علمية رصينة.

رابعًا: هيكلية البحث

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيم البحث إلى مبحثين رئيسين، تسبقهما هذه المقدمة، ويعقبهما خاتمة تتضمن أبرز النتائج والتوصيات، وذلك على النحو الآتي: المبحث الأول: علم الكلام وأصوله المنهجية في بناء العقيدة والدفاع عنها. المطلب الأول: مفهوم علم الكلام ونشأته وتطوره التاريخي. المطلب الثاني: الأسس المنهجية للاستدلال عند علماء الكلام. المطلب الثالث: أدوات الجدل والمناظرة في الفكر الكلامي ووظائفها في الرد على الشبهات. المبحث الثاني: مواجهة الشبهات العقدية المعاصرة بمنهج علماء الكلام: التحديات وآليات التفعيل. المطلب الأول: طبيعة الشبهات العقدية المعاصرة وخصائصها في العصر الرقمي. المطلب الثاني: إشكالات توظيف منهج علم الكلام في السياق المعاصر. المطلب الثالث: آليات تجديد المنهج الكلامي وتفعيله في مواجهة الشبهات الحديثة.

المبحث الأول: علم الكلام وأصوله المنهجية في بناء العقيدة والدفاع عنها

المطلب الأول: مفهوم علم الكلام ونشأته وتطوره التاريخي

يُعدّ علم الكلام أحد العلوم الإسلامية التي نشأت في سياق الحاجة إلى تقرير العقائد الإسلامية والدفاع عنها بالحجج العقلية والنقلية، وقد ارتبط ظهوره بمرحلة مبكرة من تاريخ الفكر الإسلامي، حين بدأت تظهر الفرق الكلامية وتعددت الاتجاهات العقدية، مما استدعى بلورة منهج علمي منظم للرد على الشبهات وتثبيت أصول الاعتقاد.

أولًا: مفهوم علم الكلام

عَرّف العلماء علم الكلام بأنهُ: العلم الذي يُبحث فيه عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والنقلية، وقد أشار الجرجاني إلى إنّهُ "علم يُقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه" .[١]ويؤكد ابن خلدون إنَّ علم الكلام نشأ لحماية العقيدة من البدع والانحرافات الفكرية، وإنَّ غايته الأساسية هي تقرير العقائد بالأدلة العقلية.[٢]كما يوضح الإيجي إنَّ علم الكلام هو العلم الذي يُبحث فيه عن ذات الله وصفاته وأحوال الممكنات من حيث ارتباطها بالعقيدة.[٣]ويذهب التفتازاني إلى إنَّ علم الكلام يقوم على إثبات العقائد الإيمانية وإزالة الشبهات الواردة عليها[٤].

ثانيًا: نشأة علم الكلام

نشأ علم الكلام في البيئة الإسلامية نتيجة ظهور مسائل عقدية كبرى مثل مسألة القدر، وصفات الله، والإيمان والكفر، وقد تطورت هذه النشأة تدريجيًا مع اتساع الفتوحات الإسلامية ودخول ثقافات فلسفية جديدة.ويشير الشهرستاني إلى إنَّ اختلاف الفرق الإسلامية كان من أبرز أسباب نشوء الجدل الكلامي، مما دفع العلماء إلى التصنيف في العقائد والرد على المخالفين.[٥]كما يذكر البغدادي إنَّ أولى بذور علم الكلام ظهرت في الرد على الجهمية والمعتزلة في مسائل الصفات والقدر. [٦]ويؤكد ابن الأثير إنَّ تطور الحياة الفكرية في العصر العباسي أسهم في ازدهار المناظرات العقدية وتوسع البحث الكلامي.[٧]

ثالثًا: التطور التاريخي لعلم الكلام

مرّ علم الكلام بعدة مراحل تاريخية، بدأت بمرحلة التأسيس، ثم مرحلة النضج مع المدارس الكبرى كالأشاعرة والماتريدية، ثم مرحلة التأليف الموسوعي.ففي مرحلة التأسيس برزت مناظرات الإمام أبي الحسن الأشعري الذي انتقل من الاعتزال إلى الدفاع عن عقيدة أهل السنة .[٨]وفي مرحلة النضج ظهر التأسيس المنهجي عند الجويني والغزالي، حيث تم إدخال البرهان العقلي في خدمة العقيدة.[٩]كما أسهمَ الرازي في تطوير البنية الفلسفية لعلم الكلام من خلال توظيف المنطق في الاستدلال العقدي .[١٠]

رابعًا: طبيعة علم الكلام ووظيفته

يتضح من مجموع أقوال العلماء إنَّ علم الكلام لم يكن علمًا نظريًا مجردًا، بل كان علمًا وظيفيًا يهدف إلى حماية العقيدة من الانحرافات الفكرية. ويؤكد البيهقي إنَّ علم الاعتقاد يقوم على الجمع بين النصوص الشرعية والأدلة العقلية في إطار متوازن .[١١] كما يبينَ الآمدي إنَّ غاية علم الكلام هي تحصيل اليقين في مسائل العقيدة عبر البرهان.[١٢]وعليه، فإنَّ علم الكلام يمثل تطورًا منهجيًا في الفكر الإسلامي، جمع بين العقل والنقل، واستجاب للتحديات الفكرية في كل مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي.

المطلب الثاني: الأسس المنهجية للاستدلال عند علماء الكلام

يُعدّ مبحث الاستدلال عند علماء الكلام من أهم المرتكزات التي قام عليها هذا العلم، إذ تميّز المنهج الكلامي بمحاولة الجمع بين العقل والنقل في بناء العقيدة الإسلامية والدفاع عنها، بما يحقق التوازن بين البرهان العقلي والدليل الشرعي، ويمنع التعارض بينهما في التصور الإسلامي الصحيح.

أولًا: أصل الاستدلال العقلي عند علماء الكلام

أعتمدَ علماء الكلام على العقل بوصفه أداةً أساسية في إدراك الحقائق وإثبات العقائد، وقد قررّوا إنَّ النظر العقلي الصحيح يؤدي إلى معرفة وجود الله ووحدانيته وصفاته.ويؤكد الإيجي إنَّ العقل هو الأساس في إدراك المبادئ الأولى التي تُبنى عليها الأدلة الكلامية، وأنه شرط في صحة الاستدلال العقدي.[١٣]كما يُبين الجرجاني إنَّ الاستدلال العقلي يقوم على ترتيب المقدمات للوصول إلى نتائج يقينية في مسائل الاعتقاد.[١٤] ويذهب الرازي إلى إنَّ البرهان العقلي إذا كان صحيحًا فإنّه لا يعارض النقل الصحيح، بل يكشف عن دلالته.[١٥]

ثانيًا: موقع النقل في بناء الاستدلال العقدي

يُعدّ النقل (الكتاب والسنة) المصدر الأول في تقرير العقيدة الإسلامية، وقد أولاه علماء الكلام مكانة مركزية، مع التأكيد على ضرورة فهمه في ضوء الدلالات اللغوية والعقلية الصحيحة.ويشير الآمدي إلى إنَّ النص الشرعي إذا ثبت قطعيًا فإنه يفيد اليقين، ولا يجوز معارضته بدليل ظني.[١٦] كما يؤكد البيهقي إنَّ العقيدة الصحيحة تُبنى على النصوص الشرعية الصحيحة مع ما يعضدها من الأدلة العقلية. [١٧]

ثالثًا: التكامل بين العقل والنقل في المنهج الكلامي

سعى علماء الكلام إلى تحقيق التكامل بين العقل والنقل، بحيث يكون كل منهما مكملًا للآخر، لا متعارضًا معه، فالعقل يثبت أصول العقيدة إجمالًا، بينما يأتي النقل لتفصيلها وبيانها.ويؤكد التفتازاني إنَّ الجمع بين الأدلة العقلية والنقلية هو الطريق الأمثل لإثبات العقائد الإيمانية.[١٨]كما يذهب الجويني إلى إنَّ العقل يدل على صدق النقل، والنقل يرشد العقل إلى ما لا يستقل بإدراكه.[١٩]ويشير الغزالي إلى إنَّ الشريعة والعقل من مشكاة واحدة، وإنَّ التناقض بينهما ممتنع في الحقيقة.[٢٠]

رابعًا: ضوابط الاستدلال عند المتكلمين

وضع علماء الكلام ضوابط منهجية دقيقة للاستدلال، من أهمها:

١. صحة المقدمات العقلية وخلوها من التناقض.

٢. ثبوت النصوص النقلية وصحة دلالتها.

٣. عدم تقديم الظن على القطع في مسائل العقيدة.

ويؤكد ابن خلدون إنَّ فساد الاستدلال ينشأ من سوء الفهم أو ضعف الأدوات المنهجية.[٢١]

خامسًا: أهمية هذا المنهج في الدفاع عن العقيدة

يتبين من خلال هذا المنهج إنَّ علماء الكلام لم يفصلوا بين العقل والنقل، بل جعلوهما جناحين متكاملين في بناء العقيدة والدفاع عنها، وهو ما منح علم الكلام قدرة على مواجهة الشبهات الفكرية في مختلف العصور. وعليه، فإنَّ الأسس المنهجية للاستدلال عند المتكلمين تمثل إطارًا معرفيًا متوازنًا يجمع بين البرهان العقلي واليقين النقلي، بما يحقق قوة الحجة ووضوح الدليل في مسائل الاعتقاد.

المطلب الثالث: أدوات الجدل والمناظرة في الفكر الكلامي ووظائفها في الرد على الشبهات

يُعدّ الجدل والمناظرة من أهم الأدوات المنهجية التي اعتمدها علماء الكلام في بناء الاستدلال العقدي والذبّ عن العقيدة الإسلامية، حيث تشكّل هذه الأدوات منظومة عقلية تهدف إلى كشف الشبهة، وتقويم الاعتراض، وإقامة الحجة على أسس برهانية منضبطة، وقد عرّف الجرجاني الجدل بأنه: "ترتيب الأدلة لإلزام الخصم وإفحامه" بما يدل على طبيعته الحجاجية القائمة على الإلزام العقلي لا مجرد التقرير.[٢٢]وتبرز أدوات الجدل في علم الكلام في صور متعددة، من أبرزها: القياس الجدلي، والاستدلال العقلي، والمناقشة على طريقة السؤال والجواب، واعتماد التقسيمات العقلية التي تضيق مسالك الاعتراض، وقد وظّف الإمام الجويني هذه الأدوات في تقرير أصول الاعتقاد، معتمداً على البرهان العقلي المنضبط في كتابه *الإرشاد*، حيث يوازن بين المعطى العقلي والنقل الشرعي في بناء الحجة.[٢٣] كما أولى الغزالي أهمية بالغة لأدوات الجدل، لكنه قيّدها بضوابط شرعية وأخلاقية، محذراً من تحولها إلى مراءٍ مذموم، مبيناً في إحياء علوم الدين إنَّ الجدل إنما يُشرع "لدفع الشبهة لا لإثارة الخصومة[٢٤]، وفي الاتجاه ذاته، نجد الباقلاني في التمهيد يوظف البرهان العقلي في تفنيد شبهات الخصوم عبر الاستدلال المنطقي وإحكام التقسيم.[٢٥]ويؤكد التفتازاني إنَّ المناظرة علمٌ يُقصد به "حفظ الرأي وإلزام الخصم بالحجة" وفق قواعد منطقية مضبوطة.[٢٦] وعليه، فإنَّ أدوات الجدل في الفكر الكلامي لم تكن مجرد وسائل خطابية، بل شكلت بنية منهجية متكاملة تهدف إلى حماية العقيدة من التشكيك، عبر توظيف العقل المنضبط والنص المؤسس، في إطار علمي يوازن بين قوة البرهان وسلامة المقصد.

المبحث الثاني: مواجهة الشبهات العقدية المعاصرة بمنهج علماء الكلام: التحديات وآليات التفعيل.

المطلب الأول: طبيعة الشبهات العقدية المعاصرة وخصائصها في العصر الرقمي

تُعدّ الشبهات العقدية المعاصرة في العصر الرقمي من أخطر التحديات الفكرية التي تواجه البناء الإيماني والمعرفي لدى الفرد المسلم، إذ لم تعد الشبهة محصورة في إطارٍ علميٍّ خاص أو نقاشٍ محدود بين أهل الاختصاص، بل أصبحت عابرة للحدود، سريعة الانتشار، متعددة القوالب، تتغذى من الفضاءات الرقمية المفتوحة ومنصات التواصل الاجتماعي، وهذا التحول في طبيعة الشبهة جعلها أكثر تأثيراً وأشد تعقيداً من الشبهات التقليدية، لأنها تُقدَّم في صورة محتوى جذاب يختلط فيه الفكر بالإثارة، والمعلومة بالرأي، مما يربك المتلقي غير المتخصص. وتتسم هذه الشبهات بعدة خصائص بارزة؛ من أهمها السرعة في الانتشار نتيجة البيئة الرقمية التي تتيح تداول الأفكار دون ضوابط علمية، والتشظي المعرفي حيث تُقتطع النصوص أو الأفكار من سياقها العلمي والتاريخي، فتُعرض بصورة مشوهة تُنتج حكماً غير دقيق، كما تمتاز بالطابع الإقناعي العاطفي الذي يعتمد على التأثير النفسي أكثر من البرهان العقلي، إضافة إلى التكرار المنهجي للشبهة بأساليب متعددة حتى ترسخ في الذهن الجمعي، فضلاً عن التوظيف الانتقائي للمصادر بما يخدم أجندات فكرية أو أيديولوجية معينة. وقد أشارَ علماء المنهج الكلامي المعاصرون إلى ضرورة فهم طبيعة الشبهة قبل الرد عليها، إذ لا يمكن معالجة الإشكال دون إدراك بنيته الداخلية، كما يلفت الغزالي النظر إلى خطورة تلبيس الحق بالباطل حين تُعرض الأفكار في صورة شبهة مؤثرة على غير أهل الاختصاص، مما يستدعي تحصين العقل بالعلم قبل الخوض في الردود.[٢٧] وفي السياق ذاته، يبرز دور التحليل المعرفي عند فخر الدين الرازي الذي يؤكد إنَّ من شروط المناظرة إدراك "مباني الشبهة قبل نقضها"، إذ إن الجهل ببنية الاعتراض يؤدي إلى إعادة إنتاجه لا إلى تفكيكه [٢٨]،كما يمكن الإفادة من الدراسات الحديثة التي تناولت أثر الإعلام الرقمي في تشكيل الوعي العقدي، والتي تؤكد أن البيئة الرقمية أصبحت عاملاً فاعلاً في إعادة تشكيل التصورات الدينية لدى الشباب.وبناءً على ذلك، فإنَّ الشبهات العقدية المعاصرة لم تعد مجرد إشكالات فكرية بسيطة، بل تحولت إلى منظومات خطابية رقمية معقدة، تتطلب وعياً منهجياً دقيقاً في الفهم والتحليل قبل مرحلة الرد، بما ينسجم مع منهج علماء الكلام في تفكيك الشبهة من جذورها، لا الاكتفاء بمظاهرها.

المطلب الثاني: إشكالات توظيف منهج علم الكلام في السياق المعاصر

يُعدّ توظيف منهج علم الكلام في السياق المعاصر من القضايا الإشكالية التي أفرزتها التحولات الفكرية والرقمية الحديثة، إذ لم يعد هذا المنهج يُمارَس في بيئته التاريخية التقليدية القائمة على حلقات العلم والمدارس العقدية، بل انتقل إلى فضاء معرفي مفتوح تتداخل فيه الفلسفات المعاصرة، والنظريات الإنسانية الحديثة، وخطابات الإعلام الرقمي، هذا الانتقال أنتج جملة من الإشكالات المنهجية والمعرفية التي تستدعي إعادة نظر دقيقة في كيفية استثمار أدوات علم الكلام دون إخلال بأصوله أو إسقاطه في سياقات لا تنسجم مع بنيته الأصلية.ومن أبرز هذه الإشكالات إشكالية المفاهيم؛ حيث تُستخدم مصطلحات كلامية تراثية داخل سياقات فكرية حديثة دون ضبط دلالي، مما يؤدي إلى اضطراب في الفهم وإسقاطات غير دقيقة، كما تبرز إشكالية المنهج في محاولة الجمع غير المنضبط بين المنهج الكلامي القائم على الاستدلال العقلي الجدلي، والمناهج الفلسفية الحديثة أو المقاربات الهرمنيوطيقية، مما يخلق تداخلاً يضعف البنية البرهانية الأصلية لعلم الكلام.ومن الإشكالات أيضاً إشكالية التلقي، إذ إنَّ

المتلقي المعاصر يتأثر بالخطاب السريع والمكثف في الوسائط الرقمية، بينما يقوم علم الكلام على بناء تدريجي للحجة، مما يؤدي إلى فجوة بين طبيعة الخطاب الكلامي ومتطلبات الجمهور الرقمي. يضاف إلى ذلك إشكالية الانتقائية في توظيف نصوص العلماء، حيث تُقتطع الأقوال من سياقاتها الجدلية أو التاريخية وتُعاد قراءتها بما يخدم مواقف مسبقة، وهو ما يخلّ بالمنهج العلمي الرصين كما يبرز إشكال التجزئة المعرفية، إذ يتم أحياناً التعامل مع مسائل العقيدة بمعزل عن أصولها الكلية في الكتاب والسنة ومنهج السلف، مما يفقد علم الكلام توازنه بين العقل والنقل، وأخيراً، فإنَّ من أخطر الإشكالات إشكالية التوظيف الأيديولوجي لعلم الكلام، حيث يُستدعى أحياناً في صراعات فكرية معاصرة بوصفه أداة جدلية لا بوصفه علماً مؤسساً على أصول معرفية منضبطة. وقد نبّهَ عدد من علماء المنهج إلى خطورة هذه الإشكالات؛حيث أكد الغزالي إنَّ العلم إذا فُصل عن مقاصده الشرعية تحول إلى جدلٍ عقيم لا يهدي إلى يقين[٢٩]،ويشير التفتازاني إلى ضرورة ضبط المنهج الكلامي بقواعد الاستدلال حتى لا يتحول إلى مجرد صناعة جدلية خالية من البرهان[٣٠]. وعليه، فإنَّ توظيف علم الكلام في العصر المعاصر يقتضي وعياً منهجياً مزدوجاً: وعيٌ بأصالته التراثية، ووعيٌ بسياقه المعرفي الحديث، حتى لا يتحول إلى أداة إشكال بدل أن يكون أداة بيان ودفع للشبهات.

المطلب الثالث: آليات تجديد المنهج الكلامي وتفعيله في مواجهة الشبهات الحديثة

يمثّل تجديد المنهج الكلامي اليوم ضرورة علمية ملحّة فرضتها طبيعة التحولات الفكرية المتسارعة، لا سيما في ظل الفضاء الرقمي الذي أعادَ تشكيل طرق تلقي المعرفة الدينية وأساليب الاعتراض عليها، غير أن هذا التجديد لا يعني القطيعة مع التراث الكلامي، بل إعادة تفعيله وفق قراءة منهجية تستحضر الأصول وتستجيب للمعطيات المعاصرة، بما يحقق التوازن بين الثابت العقدي والمتغير المعرفي.ومن أهم الآليات المقترحة في هذا السياق إعادة بناء المفاهيم الكلامية على أسس لغوية ومنهجية دقيقة، بحيث تُحرَّر المصطلحات من التداخلات التاريخية والتوظيفات غير المنضبطة، ويُعاد ربطها بسياقاتها الأصلية في الكتاب والسنة، كما تبرز آلية تطوير الخطاب الحجاجي عبر الانتقال من الجدل التجريدي إلى خطاب تواصلي برهاني مبسّط، يراعي مستوى المتلقي المعاصر دون الإخلال بالعمق العلمي.ومن الآليات كذلك الاستفادة من أدوات التحليل المعرفي الحديث، مثل تحليل الخطاب ونقد المعرفة، بما يساعد على تفكيك بنية الشبهة المعاصرة قبل الرد عليها، وهو ما ينسجم مع ما أشار إليه بعض المتكلمين من ضرورة "فهم السؤال قبل الجواب"، كما تُعد رقمنة علم الكلام من أبرز آليات التفعيل، وذلك عبر إنتاج محتوى عقدي رصين في المنصات الرقمية، يواجه تدفق الشبهات بلغة العصر وأدواته.ويُضاف إلى ذلك تأهيل المتكلم المعاصر معرفياً ومنهجياً، بحيث يجمع بين أصول العقيدة، وأدوات الجدل، ومعرفة السياقات الفكرية الحديثة، مما يجعله قادراً على التعامل مع الشبهة من داخل بنيتها لا من خارجها، كما تبرز آلية التكامل بين العلوم الشرعية والإنسانية، إذ إنَّ فهم الشبهات المعاصرة يتطلب الإحاطة بعلم الاجتماع والإعلام والفلسفة الحديثة، إلى جانب العلوم العقدية التقليدية.وقد أشارَ ابن خلدون إلى إنَّ العلوم تتطور بتطور العمران وتغير الأحوال، مما يقتضي تجديد طرائق التعليم دون المساس بالثوابت[٣١]،كما أكد الرازي على أهمية توسيع أدوات النظر العقلي في مواجهة الاعتراضات الفكرية المتجددة[٣٢]، وفي السياق المعاصر، تنبهت دراسات حديثة في الفكر الإسلامي إلى ضرورة تحويل علم الكلام من خطاب جدلي مغلق إلى خطاب معرفي تفاعلي قادر على الاشتباك مع تحديات العصر الرقمي.وعليه، فإن تجديد المنهج الكلامي لا يقوم على استبدال القديم بالجديد، بل على إعادة صياغة أدواته ووظائفه بما يضمن فاعليته في حماية العقيدة، مع الحفاظ على أصالته العلمية ومرجعيته الشرعية.

الخاتمة

بعد رحلة علمية امتزج فيها النظر بالأثر، والتحليل بالتأصيل، وقف هذا البحث على جملة من القضايا المرتبطة بمنهج علماء الكلام في مواجهة الشبهات العقدية المعاصرة، في محاولة لقراءة التراث الكلامي قراءة واعية تستحضر أصالته وتستثمر أدواته في فهم الواقع الرقمي المتغير، وقد تبين من خلال هذا المسار إنَّ علم الكلام ليس علماً تاريخياً منغلقاً، بل منظومة منهجية قابلة للتفعيل والتجديد إذا أُحسن فهم أصولها وضبطت أدواتها.

أهم النتائج:

١. أنَّ الشبهات العقدية المعاصرة تتسم بطابع رقمي سريع الانتشار، مما يجعل أثرها أعمق من الشبهات التقليدية .

٢. أنَّ فهم الشبهة يمثل مقدمة ضرورية قبل محاولة الرد عليها، وفق منهج علماء الكلام .

٣. أنَّ علم الكلام يقوم على توازن دقيق بين العقل والنقل في بناء الاستدلال العقدي .

٤. أنَّ أدوات الجدل والمناظرة كانت وسائل علمية لضبط الحجاج لا مجرد صراع فكري .

٥. أنَّ السياق الرقمي المعاصر أفرز إشكالات جديدة في توظيف المنهج الكلامي .

٦. أنَّ من أبرز الإشكالات: اضطراب المفاهيم، وتداخل المناهج، والانتقائية في النقل .

٧. أنَّ التجديد المنهجي لعلم الكلام ضرورة علمية لمواجهة تحديات العصر .

٨. أنَّ تفعيل الخطاب العقدي يتطلب تطوير أدوات العرض والتواصل دون الإخلال بالأصول .

٩. أنَّ التكامل بين العلوم الشرعية والإنسانية يعزز القدرة على تحليل الشبهات المعاصرة .

١٠. أنَّ علم الكلام لا يزال قادراً على أداء وظيفته الدفاعية إذا أُحسن توظيفه ضمن رؤية منهجية متوازنة .

المصادر:

١. **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢. **أساس التقديس**، محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي، (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣. **أصول الدين**، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، (ت: ٤٢٩هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٤. **إحياء علوم الدين**، محمد بن محمد بن محمد الغزالي، (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت.(

٥. **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، (ت: ٤٧٨هـ)، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

٦. **الاقتصاد في الاعتقاد**، محمد بن محمد بن محمد الغزالي، (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: إنصاف رمضان، دار قتيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٧. **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٨. **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني، (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٩. **شرح العقائد النسفية**، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، (ت: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٠. **شرح المقاصد**، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، (ت: ٧٩٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١١. **غاية المرام في علم الكلام**، سيف الدين علي بن محمد الآمدي، (ت: ٦٣١هـ)، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

١٢. **فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة**، محمد بن محمد بن محمد الغزالي، (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، ١٩٦١م.

١٣. **الكامل في التاريخ**، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري، (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٤. **المحصل في أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين**، محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي، (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٥. **المقدمة**، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، (ت: ٨٠٨هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٦. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

١٧. **المواقف في علم الكلام**، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٨. **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، (ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

هوامش البحث

---

[١] التعريفات، الجرجاني، ص ١٩٨ .

[٢] ينظر: المقدمة، ابن خلدون، /٤٥٩.

[٣] ينظر:المواقف،الإيجي ، ١/ ٢٣–٢٥.

[٤] شرح العقائد النسفية التفتازاني،ص ٥–٧.

[٥] ينظر: الملل والنحل الشهرستاني ، / ٣٠–٣٢.

[٦] ينظر: أصول الدين، البغدادي ، ص ١٥–١٨ .

[٧] ينظر:الكامل في التاريخ، ابن الأثير،٥/ ٢١٠ .

[٨] ينظر:مقالات الإسلاميين ،الأشعري، ١/ ٤٥–٤٨ .

[٩] ينظر: لإرشاد الجويني،ص ٦٠–٦٢، الاقتصاد في الاعتقاد الغزالي، ص ١٢–١٥ .

[١٠] ينظر:أساس التقديس، الرازي، ص ١٠–١٣.

[١١] ينظر:الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ،البيهقي، ص ٩–١١.

[١٢] ينظر:غاية المرام في علم الكلام،الآمدي، ص ٧–٩ .

[١٣] ينظر:المواقف، الإيجي، ج١، ص ٣٦–٣٨ .

[١٤] ينظر: التعريفات، الجرجاني، ص ١٠٢.

[١٥] ينظر:أساس التقديس، الرازي ، ص ١٨–٢٠ .

[١٦] ينظر:غاية المرام في علم الكلام الآمدي، ص ٢٢–٢٤ .

[١٧] ينظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد،البيهقي ، ص ١٤–١٦ .

[١٨] ينظر:شرح العقائد النسفية،التفتازاني ، ص ١٨–٢٠ .

[١٩] ينظر:الإرشاد، الجويني ، ص ٧٠–٧٢ .

[٢٠] ينظر:الاقتصاد في الاعتقاد،الغزالي، ص ٢٥–٢٧ .

[٢١] ينظر:المقدمة، ابن خلدون، ١/ ٤٧٠.

[٢٢] التعريفات، الجرجاني، ، ص ١١٢–١٢٠.

[٢٣] ينظر:الإرشاد، الجويني ،١/ ٨٥–٩٠ .

[٢٤] ينظر:إحياء علوم الدين، الغزالي ، ١/ ٤٥–٥٠

[٢٥] ينظر: الباقلاني، تمهيد الأوائل، ص ١٣٠–١٣٥.

[٢٦] ينظر: شرح المقاصد التفتازاني، ٢/ ١٥–٢٢.

[٢٧] ينظر: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة الغزالي ، ص ٥٥–٦٠.

[٢٨] ينظر: المحصل، الرازي، ص ٤٠–٤٥ .

[٢٩] إحياء علوم الدين، الغزالي ،١/ ٥٢–٥٨.

[٣٠] شرح المقاصد ،التفتازاني ، ١/ ٣٠–٣٥.

[٣١] ينظر:المقدمة، ابن خلدون، ص ٤٢٠–٤٢٥ .

[٣٢] ينظر: المحصل، الرازي ، ص ٦٥_٧٠.